السهل سيكون، بعد اصلاحه، مستعمرة صهيونية؛ اذ يؤتى لزراعته واصلاحه بالفلاحين الاسرائيليين المعسرين، كما فعل روتشيلد في فلسطين. وقد انتدب، الآن، اصحاب الارض بعض الاسرائيليين للشروع بالأعمال الابتدائية. وهكذا ألّفوا مستعمرة صهيونية في أرض مصرية، وأغنوا الصهيونيين عن السفر الى شرق أوغندا ومجاهل افريقيا كما ارادت انجلترا».

وعلّق زهيري بقوله: «وقد استمر هذا المشروع، الذي اشتراه سوارس وكاسل، وهما، أيضاً، كبار مؤسسي ' البنك الاهلي المصري ' العام ١٨٩٨. ولكننا نكتشف أمر احدى الشخصيات الصهيونية الهامّة في تاريخ النشاط الصهيوني بمصر واسمه بن ـ عاداه هو الذي تولّى ادارة المشروع في بدايته، ثمّ تولّاه، بعده، طلعت حرب، وكيل الادارة القانونية في الدائرة السنية مدير أعمال ممتلكات سلطان باشا. وقد احتفلت جريدة ' اللواء' العام ١٩٠٥ بتولّي طلعت حرب هذا المنصب في موجة المطالبة بتمصير المناصب»[٥٢]. كما أشار أنسي مصطفى كامل، في دراسته عن «الرأسمالية اليهودية في مصر»، الى ان هرتسل لم يأمل في نجاح المشروع، حيث ان «انشاء مستعمرة في كوم امبو سيؤدي الى تدخل طرف ثالث من طريق ' السوسيتيه جنرال' التي تسوق الاوراق المالية للشركة العامة للسكر والتكرير المصرية في باريس. وحيث ان هذه الشركة كانت سمعتها المالية، دولياً، سيئة، وهي، أيضاً، تعتبر الاطار الانتاجي لمخرجات شركة أراضي وادي كوم امبو، فانه لا أمل في المشروع». وجاءت اشارة كرومر، في تقريره العام ١٩٠٦ الى المجلس البريطاني استبعاده نجاح المشروع، لاستبعاد عمل الاسرائيليين كفلاحين، حيث انهم كانوا يسيطرون على مرحلة أرقى في الانتاج، ألا وهي ملكية الاراضي[٥٣].

كليّة فكتوريا

وفي الوقت الذي كان هرتسل يجري اتصالاته مع السلطات البريطانية من اجل اقامة مستعمرات صهيونية في سيناء والعريش، كان هناك من رجال الاحتلال البريطاني من فكّر في انشاء شركة لتأسيس مدارس بريطانية، وأطلق عليها اسم «المدارس البريطانية في مصر». ولم تكن هذه الفكرة بعيدة من اللورد كرومر وتوجيهاته. وقد وضع الحجر الاساس لاحدى هذه المدارس في ١٩٠١/٤/٢٥. ولمّا كانت الملكة فكتوريا توفّيت في كانون الثاني (يناير) ١٩٠١، وبدأت الجالية البريطانية في الاسكندرية تفكر في عمل شيء يخلّد ذكرى ملكتهم، أطلق على المدرسة اسم «كلية فكتوريا»، وبذلك تغيّر الاسم الذي كان مقترحاً سابقاً وهو «المدارس البريطانية»[٥٤]. وفي تقرير كرومر، العام ١٩٠٥، جاء عن كلية فكتوريا: «ان الغرض... من هذه الكلية هو انشاء مدرسة عالية لابناء وجهاء المصريين على اختلاف... مللهم، تكون تحت الرعاية البريطانية ولا تتعرّض للأديان مطلقاً. ولا [شك] في ان الحاجة كانت شديدة الى كلية مثلها؛ فان من ينظر الى ملل تلامذتها... يدرك مقدار اختلاط الشعوب والامم في مدن مصر الكبرى. فقد كان عدد تلامذتها ١١٨ في بدء هذه السنة (١٩٠٥) (٢٨ منهم داخليون)، وكان من العدد ٣٩ من اليهود المختلفي الجنسيات و٥٦ من المسيحيين (بين ارثوذكس وموارنة وروم كاثوليك ولاتين وبروتستانت من مشيخية وانغليكان) ستة منهم أقباط، و٢٢ سوريون، و١٣ يونان، وستة انجليز، وأربعة ايطاليون، ودنمركيان، وفرنسي، ومالطي، وأرمني، و٢٣ من المسلمين (بين مصريين وبدو وأتراك)»[٥٥].

وفي تقريره العام ١٩٠٦، أشار كرومر الى انه «في كلية فكتوريا، الآن، ٢١٥ تلميذاً، منهم ٧٩ يهود، [و] ٧٩ مسيحيون، [و] ٥٧ مسلمون، والعمل جار في بناء الدار الجديدة التي ستنقل المدرسة اليها»[٥٦].